

سياسة إنكلترا الخارجية في عهد الملك هنري الثامن (١٥١١-١٥٢٠م)

رواء فاضل عبد

أ.م.أبتسام سلمان سعيد

٢٠٢٦ / ٠٣/٢٠	: التعديل (Revision)	٢٠٢٦ / ٠٣/٠٢	: الاستلام (Received)
٢٠٢٦/ ٠٩/٣٠	: النشر (Published)	٢٠٢٦ / ٠٤/ ٠٧	: القبول (Accepted)

This work is licensed under a [Creative Commons Attribution](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)[4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

المخلص:

يتناول هذا البحث سياسة انكلترا الخارجية في عهد هنري الثامن حتى عام ١٥٢٠، إذ سعى إلى تعزيز مكانة بلاده كقوة أوروبية فاعلة من خلال التوازن بين القوى الكبرى، لاسيما فرنسا وإسبانيا. في المرحلة الأولى، اتسمت سياسته بالنزعة العسكرية وتحقيق المجد الشخصي، فدخل في تحالفات مع قوى أوروبية مثل الملك فرديناند الثاني، وخاض حملات عسكرية التي عكست طموحه في استعادة النفوذ الإنكليزي في الأراضي الفرنسية. ومع تطور الأحداث، تحولت السياسة الخارجية نحو العمل الدبلوماسي بقيادة توماس ولسي، الذي سعى إلى جعل انكلترا وسيطاً بين القوى الأوروبية، مما أسفر عن معاهدة لندن ١٥١٨ لتحقيق نوع من التوازن والسلام. وتوج هذا التوجه ببقاء فرانسوا الأول في ميدان القماش الذهبي، الذي جسّد مظهرًا من مظاهر القوة والتقارب السياسي، على الرغم من محدودية نتائجه العملية، مما يدل على أن سياسة انكلترا الخارجية جمعت بين الطموح العسكري والمرونة الدبلوماسية.

الكلمات المفتاحية: إنكلترا، السياسة الخارجية، الملك هنري الثامن، توماس ولسي، الحروب الإيطالية، ميدان القماش الذهبي.

Abstract:

This study examines the foreign policy of England during the reign of Henry VIII up to 1520. It argues that he sought to strengthen his kingdom's position as an active European power by maintaining a balance among the major powers, notably France and Spain. In its initial phase, his policy was characterized by militarism and the pursuit of personal glory; he entered into alliances with European rulers such as Ferdinand II and undertook military

campaigns that reflected his ambition to restore English influence in French territories. As circumstances evolved, foreign policy shifted toward diplomacy under the leadership of Thomas Wolsey, who aimed to position England as a mediator among European powers. This approach culminated in the Treaty of London 1518, which sought to establish a degree of balance and peace. It was further exemplified by the meeting with Francis I at the Field of the Cloth of Gold, an event that symbolized displays of power and political rapprochement despite its limited practical outcomes. This indicates that England's foreign policy combined military ambition with diplomatic flexibility.

Keywords: England, foreign policy, King Henry VIII, Thomas Wolsey, the Italian Wars, the Field of Golden Cloth.

المقدمة:

تركز هذه الدراسة على سياسة إنكلترا الخارجية في عهد هنري الثامن خلال المدة (١٥١١-١٥٢٠م)، وهي مرحلة مهمة في تاريخ العلاقات الأوروبية شهدت تصاعد التنافس بين القوى الكبرى، لاسيما فرنسا وإسبانيا. وقد سعى هنري الثامن في هذه الفترة إلى تعزيز مكانة إنكلترا الدولية عبر اتباع سياسة خارجية جمعت بين التحالفات العسكرية والمبادرات الدبلوماسية، مستهدفاً تحقيق التوازن في ميزان القوى الأوروبي. كما برز دور الشخصيات السياسية، وفي مقدمتها توماس ولسي، في رسم معالم هذه السياسة وتوجيهها نحو خدمة المصالح الإنكليزية.

تبرز أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على مرحلة مفصلية من تاريخ إنكلترا السياسي، إذ تكشف عن طبيعة التحولات في سياستها الخارجية بين الحرب والدبلوماسية، ومدى تأثير ذلك في مكانتها الأوروبية. كما تساعد في فهم آليات التوازن الدولي التي سادت في أوائل القرن السادس عشر، ودور إنكلترا في إدارة الصراعات والتحالفات بين القوى الكبرى. فضلاً عن ذلك، تبرز الدراسة أهمية القيادة السياسية والدبلوماسية في توجيه العلاقات الدولية، ولاسيما من خلال الدور الذي أداه ولسي في تعزيز مكانة إنكلترا كوسيط فاعل في الساحة الأوروبية.

المحور الأول: الدور الإنكليزي في الحروب الإيطالية (١٥١١-١٥١٥):

شهدت بدايات عهد الملك هنري الثامن حقبة سياسية معقدة، تزامنت فيها اعتلاء البابا يوليوس الثاني (Julius II)^(١) للعرش البابوي لمدة ستة سنوات. عُرفت شخصية البابا بأنها جمعت بين صفات

الكاهن والحارس، وكان مستعداً بنفس القدر للدفاع عن مصالح الكنيسة وزيادة أراضيها، سواء بالسيف أو بالحظر والحرمان الكنسي. وهدفت سياسته الحقيقية إلى جعل إيطاليا مستقلة، وهو مشروع لم يكن من الممكن تحقيقه بالسلاح عند مواجهة فرنسا، أو إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة مكسيميليان الأول، أو فرديناند ملك إسبانيا، بل كان ذلك عن طريق زرع الخلافات^(٢).

تحالف يوليوس الثاني مع أولئك الملوك لكبح قوة الفينيسيين من خلال عصبة كامبريه (League of Cambrai) عام ١٥٠٨م، التي أنشأها ضد البندقية، ويكمن سبب إنشائها في تحدي البندقية لسلطة البابا فيما يتعلق بتعيينات الكنيسة في أراضيها، لكن جميع المشاركين كانوا حريصين على الاستيلاء على الأراضي والمدن التي تسيطر عليها البندقية في شمال إيطاليا. حيث بسطت فرنسا سيطرتها على ميلانو الواقعة شمال إيطاليا، بينما سيطرت إسبانيا على نابولي الواقعة جنوب إيطاليا. أما إنكلترا، التي لم تكن لها مصالح فعلية في إيطاليا، فلم تكن عضواً في تلك العصبة، لكنها دعمت أهدافها^(٣).

بدأ البابا يوليوس يخشى من هيمنة فرنسية على إيطاليا، إذ شرع في تشكيل تحالف مناهض لفرنسا، وكان ذلك الأمر مثالياً بالنسبة للملك هنري الثامن، إذ قام بإرسال رئيس أساقفة يورك كريستوفر باينبرج (Christopher Bainbridge)^(٤)، بهدف التأثير على يوليوس ضد فرنسا. واستطاع باينبرج كسب ثقة البابا، إذ تم تعيينه كاردينالاً في آذار عام ١٥١١م. ورداً على عدائية يوليوس، استدعى لويس الثاني عشر (Louis XII)^(٥) مجلساً كنسياً للانعقاد في بيزا (Pisa)، مع التهديد بإمكانية عزل البابا، لكن رد البابا لم يكن كما تمنى لويس، فبدلاً من التراجع سرّع يوليوس من وتيرة المفاوضات^(٦).

جرى التوقيع على بنود العصبة المقدسة (Holy League)^(٧) في تشرين الأول ١٥١١م التي هدفت لطرد الفرنسيين من إيطاليا. وقع باينبرج باسم إنكلترا بعد حصوله على موافقة هنري الثامن، وبذلك أصبح بإمكان هنري الثامن خوض حرب ضد فرنسا مع بحجة الدفاع عن كنيسة روما^(٨).

فضّل مستشارو الملك هنري الثامن، أمثال فوكس وورهام، الاستمرار بالسياسة السلمية، ولم يُبدوا استجابة فعلية لخطط الملك هنري الثامن في مشاركته. بالمقابل، كان هناك عدد كبير من رجال البلاط، أمثال توماس وولسي، يشاركون الملك هنري الثامن حماسه. فضلاً عن ذلك أن الملك هنري الثامن تلقى تشجيعاً من الملك فرديناند لاستعادة الأراضي الإنكليزية السابقة في فرنسا، فعقد الملك هنري الثامن مع فرديناند في معاهدة ويستمنستر (Treaty of Westminster)^(٩) عام ١٥١١م^(١٠). تضمنت قيام غزو إنكلو-إسباني مشترك لمقاطعة غاسكوني (Gascony) الواقعة جنوب غرب فرنسا^(١١).

عقب ذلك بدأت التحضيرات، وُجمعت القوات، وفي آذار ١٥١٢م، وبدافع تشجيع الملك هنري الثامن، اعترف البابا سرّاً بأحقية الملك هنري الثامن في العرش الفرنسي، وأعلنت إنكلترا رسمياً الحرب على فرنسا في الثالث من نيسان من العام نفسه^(١٢).

كان من المفترض أن يزود الملك هنري الثامن الحملة بنحو (٦٠,٠٠٠) من المشاة، بينما يقدم فرديناند قرابة (٤٠٠٠) من المشاة و(٢٠٠٠) فارس، ثم نقل الجنود باستخدام سفن تجارية وسفن استؤجرت من إسبانيا ومن الأراضي المنخفضة (Low Countries)^(١٣). وكان من المقدر أيضًا أن يوفر فرديناند الإمدادات الغذائية. استطاعت القوات الإنكليزية التصعيد من عملياتها العسكرية على السواحل الفرنسية، إذ أوكلت المهمة إلى الأسطول بالسيطرة على القناة الإنكليزية، وبالتالي أدى ذلك إلى عدم مقاومة السفن الفرنسية. ونفذت غارات ساحلية هدفت بالأساس إلى إضعاف هيبة الحكم الفرنسي أمام سكانه لعدم تأمين الحماية لهم^(١٤). ولم تبدي فرنسا أي مقاومة جادة، ما عدا بعض المحاولات الخجولة، ان صح التعبير^(١٥).

أما في غاسكوني الواقعة جنوب غرب فرنسا، فكانت الحملة العسكرية كارثية؛ فبعد نزولهم إلى الشاطئ وتقدمهم نحو فونتربايا (Fuenterrabía) قرب الحدود الفرنسية استعدادًا للهجوم على بايون (Bayonne) الواقعة جنوب غرب فرنسا، لم يتلق الجيش الإنكليزي أي إمدادات. وبدأ الجنود بنهب القرى بحثًا عن الطعام، وكان الطقس ممطرًا، ولم يكن لدى الجنود ما يكفي من وسائل الإيواء، وانتشرت الأمراض. وفي تلك الأثناء، بدلًا من إرسال قوات إسبانية للانضمام إليهم، أعلن فرديناند نيته احتلال مملكة نافارا (Navarre)^(١٦)، التي كان حاكمها حليفًا لفرنسا^(١٧).

وقعت بعض الغارات الإنكليزية عبر الحدود الفرنسية، خلّفت قتلى ودمارًا في سانت جان دو لويز (Saint-Jean-de-Luz) الواقعة جنوب غرب فرنسا وعدد من القرى. وعلى الرغم من رغبة بعض القادة، مثل توماس هوارد، في البقاء، فقد تم استئجار سفن وغادر الجيش إلى إنكلترا في تشرين الأول من عام ١٥١٢م دون أن يحقق شيئًا يُذكر. ويُعزى سبب انسحاب الجيش الإنكليزي إلى عدم توفر الإمدادات وتغيّر الخطة العسكرية من قبل فرديناند، فضلًا عن استغلال الإسبان للقوات الإنكليزية لتشتيت انتباه الفرنسيين حتى لا يتمكنوا من التدخل في مملكة نافارا، التي كانت هدفهم منذ البداية^(١٨).

شكّلت تلك الحملة إخراجًا سياسيًا للملك هنري الثامن، ما دفعه لإعادة التخطيط لحملة جديدة تنطلق من كاليه، تتجاوز مشاكل الإمدادات وسلسلة الاتصال الطويلة. ووفقًا لاتفاقية ميخيلين (Treaty of Mechelen)^(١٩)، قرر الملك هنري الثامن أن يقود الحملة بنفسه بمشاركة الإمبراطور مكسمليان، الذي حصل على دعم مالي مقابل خدماته. وأصبح موقف الملك لويس الثاني عشر صعبًا للغاية، إذ تعرضت قواته للهجوم في جبهات عدة^(٢٠). فضّل فرديناند توقيع

هدنة مؤقتة مع فرنسا بعد ضمان سيطرته على مملكة نافارا، فأزداد غضب الملك هنري الثامن، وتدهورت العلاقات الأنكلو-إسبانية^(٢١).

قيل انطلاق حملته العسكرية على فرنسا، كان الملك هنري الثامن على دراية تامة بتجديد التحالف بين فرنسا واسكتلندا، ذلك التحالف الذي من شأنه أن يشكّل تهديدًا عسكريًا مباشرًا على الحدود الشمالية لإنكلترا. وفي ذلك السياق، تجدر الإشارة إلى أن العلاقة بين إنكلترا واسكتلندا، التي كانت قد استقرت نسبيًا بعد معاهدة السلام الدائم (Treaty of Perpetual Peace) المبرمة مع الملك هنري السابع عام ١٥٠٢م، والتي تم تعزيزها بزواج ملك اسكتلندا جيمس الرابع من ماري تيودور، كبرى بنات الملك هنري السابع، أصبحت على المحك عندما أعلن الملك هنري الثامن الحرب على فرنسا، إذ اتخذ الملك جيمس الرابع قرارًا بالوقوف إلى جانب فرنسا^(٢٢).

ترك الملك هنري الثامن زوجته الملكة كاثرين اراغون وصيّة على العرش، وعبر إلى كاليه لينضم إلى جيشه هناك، إذ أستان الإنكليز بعدد من الجنود المرتزقة السويسريين، الأمر الذي أدى إلى زيادة تكاليف الحملة، لكنه تلك المرحلة لم يكن يرى في الكلفة شيئًا مقارنة بالحاجة إلى نصر عسكري. وكان تجهيز الجيش وتزويده بالعتاد والإمدادات أمرًا بالغ التعقيد، ويرجع الفضل الكبير في إعداد التنظيم لتوماس ولسي، الأمر الذي أدى إلى تصاعد مكانته بسرعة داخل مجلس الملك^(٢٣).

أصدر الملك هنري الثامن مرسومًا في ١٥ أيار ١٥١٣م، شدد فيه على تطبيق القوانين والأنظمة الحربية التي يجب أن يلتزم بها جميع الجنود والضباط في مدينة كاليه وحاميتها. وأمر أن تطاع تلك القوانين طاعة تامة، ومعاقبة كل من يخالف الانضباط، أو يثير الفوضى، أو يمتنع عن تنفيذ الأوامر، وفق القوانين العسكرية المتبعة، وعدم محاباة أي شخص^(٢٤).

تقدّم الجيش الإنكليزي جنوب شرق كاليه وفرض الحصار على مدينة ثيروان (Thérouanne) الصغيرة، لكنها كانت محصنة جدًا، وهناك انضمت إليهم قوات مكسمليان. وفي ١٦ آب أرسلت قوة فرنسية للإغاثة بلغت نحو (٧٠٠٠) مقاتل، قُسمت بين من حاول تشتيت قوات الحصار ومن حاول إدخال إمدادات إلى المدينة، غير أن هذه القوة دُحرت في معركة عُرفت باسم معركة غينيغيث الثانية (Second Battle of Guinegate) نسبة إلى موقع معسكر الملك هنري الثامن، أو كما اشتهرت في إنكلترا باسم معركة الركاب (Battle of the Spurs)، إشارة إلى سرعة انسحاب سلاح الفرسان الفرنسي من أرض المعركة^(٢٥).

إثر ذلك، وجه الملك هنري الثامن قاداته العسكريين في ١٤ آب ١٥١٣م من مقر أقامته في المعسكر الملكي قرب مدينة ثيروان، بإعادة تنظيم المعسكر الملكي ومنع أي اضطراب أو تجاوز أو

اعتداء داخله، وحظر السرقة، والعنف، وإزعاج السكان، وأمرهم بالحفاظ على النظام والانضباط، وتوعد المخالفين بالعقوبات العسكرية الشديدة^(٢٦).

ثم سرعان ما استسلمت مدينة ثيرون، بعد تدمير معظم مبانيها. ووفقاً لتقارير سفير ميلانو الذي كان يرافق الإمبراطور، فقد كتب إلى الإمبراطور مكسمليان في ٤ أيلول قائلاً: "استمر الإمبراطور والملك في هدم أسوار مدينة ثيرون حتى هذا اليوم، وبعد ذلك سيتم حرقها، ولم يتبق منها سوى الكاتدرائية وعدد من البيوت المحيطة بها"^(٢٧).

نشأ خلاف حول الجيوش الغازية، فقد كان الملك هنري الثامن يفضل التوجّه نحو بولوني الواقعة شمال فرنسا واحتلالها، وهو خيار متناقض المخاطر نسبياً، وإذا تحقق فسيُعني توسعاً في الأراضي الخاضعة للسيطرة الإنكليزية. أما مكسمليان فجادل بأنه إذا كان الملك هنري الثامن يرغب في تحقيق المجد ونيل تاج فرنسا، فلا ينبغي له تضييع الوقت في مثل هذا الهدف المحدود. وتم الاتفاق على أن تتجه الحملة شرقاً لحصار مدينة تورناي (Tournai)، وهي إقليم فرنسي. وعُرفت تلك المدينة بأنها مزدحمة جداً وغنية، كما أن أسقفها يتّراس أبرشية تمتد على معظم منطقة الفلاندرز^(٢٨).

بعد زيارته لمدينة ليل (Lille) الفرنسية، استقبل الملك هنري الثامن استقبلاً حافلاً من لدن نبلاء وتجار الفلاندرز، كذلك استقبلته مارغريت النمساوية (Margaret of Austria)^(٢٩) التي كانت تقيم هناك أيضاً، وقد احتفل بالنصر في مأدبة فاخرة، ثم عاد بعدها إلى جيشه خارج تورناي. وهناك تلقى أول خبر عن النصر الإنكليزي على الاسكتلنديين في معركة فلودن فيلد (Battle of Flodden Field)^(٣٠)، التي وقعت في ٩ أيلول ١٥١٣م. وفي ١٦ من الشهر نفسه كتب الملك هنري الثامن إلى دوق ميلانو أن جيمس الرابع، الذي انضم إلى فرنسا متناسياً روابط الدم والمعاهدة الرسمية، قد هُزم، وأضاف في ملحق رسالته أنه تلقى تأكيداً موثقاً بأن ملك الاسكتلنديين نفسه قد قُتل في المعركة^(٣١).

كانت المعركة شرسة، وقد أُعطيت أوامر من قبل الملكة كاثرين اراغون بصفتها وصيّة على العرش، وإيرل سري توماس هوارد بوصفه القائد الميداني، بإطلاق سراح الأسرى. وقد أرسل سري تفاصيل المعركة إلى الملكة كاثرين، ومن ثم أرسلت الملك هنري الثامن^(٣٢).

كان كل شيء يسير لصالح الملك هنري الثامن، إذ كان الطقس معتدلاً، ولم يظهر أي وباء، وتم توفير الإمدادات بكثرة، ووفى الإمبراطور بالتزاماته. وبعد أيام من الحصار، تفاوض المدافعون عن تورناي على شروط الاستسلام، إذ وافقوا على تعويض مالي لتغطية نفقات الحملة الإنكليزية، كما وافق الإمبراطور على أن تبقى المدينة تحت السيطرة الإنكليزية ويتنازل الفرنسيين عن أي مطالب بها. دخل الملك هنري الثامن المدينة في موكب انتصار، وتلقى الولاء من سكانها، وبقي فيها أكثر من أسبوعين^(٣٣).

قرر الملك هنري الثامن، بعد ذلك، العودة إلى إنكلترا في أواخر تشرين الأول، وتوجّه إلى قصر ريتشموند ليعرض مفاتيح المدن التي تم الاستيلاء عليها أمام كاثرين، محققاً بذلك شرف النصر الذي طالما سعى إليه، وبذلك أثبت أن إنكلترا قادرة على الشؤون القارية، الأمر الذي عزّز مكانته ونفوذه^(٣٤). وفي تلك الأثناء وجه الملك هنري الثامن في ٢٨ كانون الثاني ١٥١٣م قادته ورعاياه للتهيؤ لغزو فرنسي محتمل، إذ أعلن أنه بسبب الخطر الوشيك لغزو محتمل من قبل أعداء المملكة، يأمرهم أن تُستعرض القوات المسلحة وأن يُفحص الرجال القادرون على حمل السلاح، وأن يكونوا على أهبة الاستعداد للدفاع عن المملكة عند أول نداء^(٣٥). كما كافأ العديد من المشاركين بمنحهم ألقاب الفروسية، فتم في أوائل عام ١٥١٤م ترقية توماس هوارد، إيرل سري، إلى دوق نورفولك (Duke of Norfolk)، وتشارلز براندون (Charles Brandon) إلى دوق سوفولك (Duke of Suffolk)، وعيّن توماس وولسي أسقفًا على لنكولن^(٣٦).

في ظل ما تقدم، يبرز تساؤل ملح، ماذا جنى الملك هنري الثامن من الحملة على غاسكوني وتورناي، وبأي كلفة كانت؟ فعلى الرغم من الاستيلاء على المدينتين، إلا أن واحدة لحق بها دمار كبير، وهي مدينة غاسكوني، والثانية تورناي تطلّبت حماية مكلفة وتحسينات باهظة في تحصينها. وقد كلفت انكلترا هذه الحرب مبالغ طائلة.

ويؤكد ما ذهبنا إليه وصف توماس كرومويل (Thomas Cromwell)^(٣٧) المدينتين في البرلمان بأنهما "جحور كلاب لا نفع فيها". وقد عيّن ولسي أسقفًا على تورناي، لكنه لم يتمكن من تحصيل العائدات المستحقة له. لم تكن تلك غنائم تُذكر لحملة كلفت الكثير، فقد شملت النفقات رواتب الجنود ونقلهم ومؤونهم وذخائرهم. وفي أقل من خمس سنوات على العرش، كان الملك هنري الثامن قد أنفق على الحرب معظم الثروة التي جمعها والده خلال العقدين السابقين، ومع ذلك ظلّت أوروبا ترى فيه ملكًا غنيًا^(٣٨).

ومن الجدير بالذكر أن البابا يوليوس الثاني قد توفي في آذار من العام ١٥١٣م، وانتُخب بابا جديد هو جيوفاني دي لورينزو ميديشي (Giovanni di Lorenzo de' Medici)، المعروف بأسم البابا ليو العاشر (Leo X)^(٣٩). والأخير اتخذ نهجًا مختلفًا، فقد نقض سياسة سلفه واتجه نحو فرنسا، ودعا إلى السلام بين الأمم المسيحية. وأعلن أنه لا علم له بوعده سلفه بدعم مطالب الملك هنري الثامن بالعرش الفرنسي، ونزع لقب ملك المسيحيين الأعظم من لويس الثاني عشر ومنحه لهنري الثامن بدلًا منه. إن ليو العاشر لم يكن يرغب بوجود قوة أجنبية مهيمنة في إيطاليا وكان أكثر ميلًا للسلام من سلفه^(٤٠).

كان الملك هنري الثامن لا يزال يخطط لتجديد الحرب ضد فرنسا عام ١٥١٤م، متوقعًا أن يفى فرديناند ومكسيميليان بوعودهما في دعمه، وكانت الاستعدادات جارية على قدم وساق. وبحلول آذار، بدأ

السفراء الأجانب يرفعون تقاريرهم متوقعين غزوًا صيفيًا، غير أن الملك هنري الثامن سمع في الشهر ذاته أن الهدنة التي أبرمها الملك فرديناند مع لويس الثاني عشر في العام السابق (هدنة مؤقتة) قد تم تمديدتها، فاستشاط غضبًا، معتبرًا فرديناند قد خانته في اللحظة التي أصبحت فيها فرنسا تحت رحمته. والآنكى من ذلك، اتضح أن الإمبراطور مكسيميليان هو الآخر قد وافق على تلك الهدنة، بل والتزم بمحاولة إقناع الملك هنري الثامن بقبولها. وقد كتب إلى مارغريت النمساوية برسالة حادة يشكو فيها أنه لم تؤخذ مشورته، وأنه لا يمكن أن يشارك في مثل هذا الاتفاق^(٤١).

أدى غضب الملك هنري الثامن من حلفائه إلى انقلاب سريع في السياسة، فبادر الأخير بالتحرك. وفي مقابل ذلك، أشار السفير الفينيسي في فرنسا إلى بواذر صلح فرنسي - إنكليزي ، وكان البابا ليو العاشر بدوره يستخدم القنوات الدبلوماسية لتشجيع تلك الخطوة. وقد كُلف كل من ولسي وفوكس دوق نورفولك بإتمام شروط الاتفاق مع فرنسا، ونجحوا في الحصول على عدة تنازلات. فقد كان الملك لويس الثاني عشر يرغب في السلام، خاصة بعد الهزيمة الكبرى التي مني بها في معركة نافارا عام ١٥١٣م، والتي أسفرت عن خسارته ميلانو وطرده من إيطاليا. وكان ينوي استعادة تلك الأراضي، لذا لم يكن راغبًا في فتح جبهة جديدة ضد إنكلترا، بل كان يأمل أن يدعمه الملك هنري الثامن في طموحاته الإيطالية^(٤٢).

وُقعت شروط الاتفاق في السابع من آب ١٥١٤م واتخذت شكل هدنة موسعة، وفي العاشر من الشهر نفسه أصدر الملك هنري الثامن مرسومًا الى جميع رعاياه يعلن فيه أنه تم الاتفاق على هدنة وسلام مؤقتة مع مملكة فرنسا، ويأمرهم بالكف عن أي أعمال عدائية، واحترام الاتفاق والتعامل وفق ما تقتضيه الشروط، وتوعد المخالفين بتنفيذ أقصى العقوبات. وقد زيدت الرواتب السنوية التي كانت فرنسا تدفعها للملك هنري الثامن مقابل تراجعته عن مطالبته بالعرش الفرنسي. وبقيت مدينة تورناي في يد الإنكليز، على الرغم من أن الملك لويس الثاني عشر كان يرغب في استعادتها. ووصلت علاقات الملك هنري الثامن بكل من الملك فرديناند والامبراطور مكسيميليان إلى حالة من الفتور عام ١٥١٤م. وكان الإمبراطور متجاهلاً مسؤوليته عن تدهور العلاقات، واتهم الملك هنري الثامن بالسلوك غير اللائق، مدعيًا أن النجاحات التي حققها الأخير لم تكن ممكنة بدون مساعدته^(٤٣).

وُعد هذا التحول في السياسة الخارجية، في بعض الأحيان، دليلاً على بروز دور ولسي في رسم سياسة الملك هنري الثامن الخارجية، إذ كان ولسي يسعى إلى بروز الأخير في مجال السياسة الأوروبية، وكان على استعداد لفعل ذلك بأي وسيلة متاحة، وفي نهج انتهازي يتسم بالمرونة أمام تقلب المشهد الدولي. وفي نهاية عام ١٥١٤م لم يكن أمام إنكلترا سوى القليل من الخيارات، ولم يكن من الواقعي الاستمرار في الحرب ضد فرنسا، فحلفاؤها تخلّوا عنها، ولم تعد الثقة قائمة معهم، فضلاً عن أن خزائن

الدولة كانت شبه فارغة ولا تتحمل حملة حربية مكلفة. وعليه، قدّم وولسي اتفاق السلام مع فرنسا، ففي النهاية كان الملك هنري الثامن قد حقق جزءاً مما أرادته على المدى القصير، ويمكن تصدير السلام وكأنه نصر سياسي^(٤٤).

المحور الثاني: موقف الملك هنري الثامن من التحولات السياسية في أوروبا (١٥١٥-١٥١٧):

إنّ السلام الذي حصلت عليه إنكلترا بعد اتفاق السلام عام ١٥١٤م مع فرنسا، أصبح هشاً بوفاة الملك الفرنسي لويس الثاني عشر عام ١٥١٥م، وتتويج ابن عمّه الشاب فرانسيس الأول (Francis I)^(٤٥)، المعروف بعنائه لإنكلترا، على عرش فرنسا، الذي كان يملك نفس الحماسة الحربية نحو التوسع، ونيل المجد والهيبة التي عند الملك هنري الثامن^(٤٦).

مع ذلك، سرعان ما جدد اتفاق السلام بين إنكلترا فرنسا، ففي ١٦ نيسان ١٥١٥م، أصدر الملك هنري الثامن مرسوماً أعلن فيه أنه تم عقد معاهدة سلام وصداقة دائمة مع مملكة فرنسا، وأمر جميع رعاياه بالالتزام بهذا السلام والامتناع عن أي أعمال عدائية أو مخالفة لشروط المعاهدة^(٤٧).

طالب الملك الفرنسي في الأشهر الأولى من توليه الحكم بعودة تورناي إلى فرنسا، وفتح ميلانو وانتزاعها من الإمبراطور مكسيميليان، وطرد الإسبان من مملكة نافارا. وعلى الرغم من مطالبته بتورناي، إلا أنه لم يشن حرباً على إنكلترا بسبب توجه أنظاره إلى شبه الجزيرة الإيطالية، إذ أرسل جيشه إلى دوقية ميلان، وتحجّج حينها بأن له حقوقاً موروثية فيها، فضلاً عن تحالفه مع البندقية لكي يؤمّن طريقه إلى ميلان. فوقف ضد مطالبه الإمبراطورية الرومانية المقدسة، والبابوية، وإسبانيا، وعلى الرغم من التحالف ضده، إلا أنه أصرّ على هدفه، وقاد جيشه واستولى على ميلان بعد انتصاره في معركة مارينيانو (Marignano)^(٤٨) في الثالث من أيلول عام ١٥١٥م^(٤٩).

اتبع الملك هنري الثامن ومستشاره ولسي سياسة تقوم على المراقبة وعدم التدخل وعدم الانخراط في الحروب، وأشار ولسي إلى الملك بالمحافظة على ما حققته المملكة من مكاسب في عام ١٥١٤م، فتقبل الملك النصيحة من مستشاره، ويعود سبب موافقة الملك إلى خيانة حلفائه له، ملك إسبانيا والإمبراطور، بعقد معاهدات الصلح مع فرنسا دون علمه أثناء حربه مع فرنسا، لذلك لم يرغب بدخول حرب لا يجني منها سوى استنزاف ما تبقى من أموال خزانة بلاده^(٥٠).

أسفرت الانتصارات التي حققها الملك فرانسيس الأول نتائج مهمة لفرنسا، لكنها كانت خطرة على أوروبا، وذلك حسب شعور مستشار الملك هنري الثامن، ولسي، بالاختلال في توازن القوة، إذ تفوقت فرنسا بعقدها معاهدات عدة في أوروبا سنة ١٥١٦م؛ فتصالح الملك الفرنسي مع البابا ليو العاشر، الذي منح ملوك فرنسا الحق بتعيين رجال الدين في المناصب الكنسية في فرنسا، وكذلك عُقدت معاهدة مع الإمبراطور مكسيميليان الأول، فسمح لفرنسا بالاحتفاظ بميلان وجنوى، وعُقدت معاهدة مع وارث عرش

إسبانيا الملك شارل الخامس (Charles V)^(٥١)، ووعدته بأن يزوجه أميرة فرنسية. وبوفاة ملك إسبانيا فرديناند وتولي العرش حفيده شارل، أُلقي هذا الأمر الكاردينال (Cardinal)^(٥٢) ولسي، فدخلت سياسته مرحلة جديدة، صمّم فيها على مواجهة الوضع الجديد؛ فالملك شارل سيطر على إسبانيا وصقلية ونابولي، وبذلك أصبح خصمًا قويًا لإنكلترا^(٥٣).

أقلق تفوق فرنسا المستشار ولسي، الذي يسعى نحو القوة والمجد، إذ عمل بالخفاء وبموافقة الملك هنري الثامن على التحالف الجديد مع الإمبراطور مكسيميليان، والتقرب بقصد غزو فرنسا بدعم من إنكلترا، لكن الملك فرانسيس الأول كان أكثر دهاءً وذكاءً بما يكفي لجعل الملوك يلتزمون بنصوص المعاهدات عن طريق منحهم الأموال، وذلك من خلال إعطاء (٦٠,٠٠٠) فلورين (Florin)^(٥٤) للإمبراطور لكي يلتزم بالمعاهدتين مع فرنسا، وأعطى (٢٠,٠٠٠) فلورين للبندية للاستسلام في فيرونا (Verona)، حتى إن ولسي قال: "ما مدى سرعة تعامله مع الطفرات المفاجئة". إلا أن تلك العوائق لم تنه عن هدفه بإخراج إنكلترا من عزلتها، وإعادة هيبة ملكه على مستوى السياسة الخارجية، وجعله في قلب الأحداث الدائرة، ولكن دون شن حملة حربية تكلف الخزانة وترهق الشعب، فانتظر فرصة لاغتنامها^(٥٥).

المحور الثالث: معاهدة لندن عام (١٥١٨م):

كانت إنكلترا معزولة دبلوماسيًا، لا سيما بعد توقيع تحالفٍ دفاعيٍّ بين فرانسيس، ومكسيميليان، وشارل، في آذار ١٥١٧م. ولم يكن من الممكن أن يحقق ولسي النجاح للملك هنري الثامن من خلال الحرب ضد فرنسا، لذا من المنطقي التوصل إلى تفاهمٍ مع فرانسيس؛ فالمكاسب التي حققها الأخير في إيطاليا لم تكن تثير قلقًا كبيرًا لإنكلترا. وقد أعاد البابا ليو إحياء خطته التي تدعو إلى هدنة لمدة خمس سنوات بين الدول المسيحية في أوروبا، من أجل شن حملة صليبية ضد الأتراك العثمانيين، قائلاً: "لقد آن الأوان لأن نصحو من غفلتنا، وإلا فسنبأغت، وتسفك سيوفهم دماءنا"^(٥٦).

كان السلطان سليم الأول (Selim I)^(٥٧) قد حقق انتصاراتٍ في مصر وسوريا، مستوليًا على فلسطين، وكان العثمانيون قد استولوا على القسطنطينية (Constantinople)^(٥٨) في عام ١٤٥٢م، وضمّوا أجزاءً كبيرةً من البلقان، وأصبح بإمكانهم تشكيل تهديدٍ حقيقيٍّ لأوروبا. وفي آذار ١٥١٨م أعلن البابا عن خطته التي تضمنت تسوية النزاعات القائمة بين القوى الأوروبية، فأرسل مبعوثين إلى مختلف أنحاء أوروبا للحصول على الموافقة عليها. رفضت إنكلترا دخول الكاردينال كامبيجيو (Cardinal Campeggio)^(٥٩)، المندوب الباباوي، إلى أراضيها، حتى يمنح البابا ولسي صلاحياتٍ مساويةً لتلك التي يتمتع بها كامبيجيو، لا سيما بعد أن نال لقب المندوب الباباوي، لدعوة فرنسا وملوك أوروبا باسم الملك هنري الثامن لتوقيع معاهدة سلامٍ دائمٍ في أوروبا^(٦٠).

نالت إنكلترا مرادها، فعقدت معاهدة عرفت باسم معاهدة لندن (Treaty of London) بعد توقيع فرنسا عليها في تشرين الأول ١٥١٨م، ونصّت على إعادة مدينة تورناي إلى فرنسا مقابل دفع مبلغ سنوي قدره (٥٠٠٠) جنيه إسترليني، واستمرار دفع المعاش السنوي الذي تتقاضاه إنكلترا من فرنسا بقيمة (١٠,٠٠٠) جنيه. وتعاقدت على توقيعها مبعوث الإمبراطورية الرومانية، ومبعوث شارل الأول ملك إسبانيا، وكذلك وقع كامبيجيو باسم البابا ليو العاشر، ومن ثم وقع عليها نحو (٢٤) سفيراً من الدول الأوروبية في لندن. فتوسعت بنودها التي تضمنت وجوب إلزام جميع الأمراء تأجيل خلافاتهم المتبادلة، والدفاع عن الكنيسة المقدسة والدين المسيحي، وعلى جميع الأعضاء أن يكونوا أصدقاء لأصدقاء الآخرين وأعداء لأعدائهم، وتعهدوا بتجنب الحروب، وعدم استئجار قواتٍ أجنبية، أو تقديم الحماية للمتمردين، والتصرف بسرعة ضد أي شيء يخرق الاتفاق، مع الالتزام بالدفاع عن أوروبا ضد التهديد العثماني^(٦١).

نال الملك هنري الثامن وولسي المديح باعتبارهما صانعي السلام في أوروبا، فقد كان تحقيق السلام لقارة أرقعتها الحروب بمثابة مكسبٍ يعادل النصر العسكري، لا سيما من قبل الكتاب الإنسانيين أمثال جون كوليت (John Colet)^(٦٢) وإيرازموس (Erasmus)^(٦٣) وتوماس مور (Thomas More)^(٦٤).

يبدو جلياً مما سبق أن معاهدة لندن لم تكن خطوة عشوائية، بل جاءت نتيجة مبادرة منظمة ومدرسة، تضمنت اتفاقيات مفصلة كدليل على الضرورة الحتمية في مواجهة الخطر الإسلامي القادم من الشرق. وقد تجلّت أهميتها في تعزيز أواصر التوافق والود بين إنكلترا وفرنسا، وهو منعكس بوضوح في استمرارية التبادل بين سفارتي البلدين. وإن دلّ ذلك على شيء فهو يقيناً يدل على حنكة الملك هنري الثامن ودهاء مستشاره ولسي، اللذان استقروا الموقف قراءة دقيقة وحكيمة، تمكنا من خلاله تحقيق نصر دبلوماسي جديد يضاف إلى النصر العسكري.

المحور الرابع: ميدان القماش الذهبي (١٥٢٠م):

أدت وفاة الإمبراطور مكسيميليان في كانون الثاني عام ١٥١٩م إلى تحولات جديدة في مسار السياسة الأوروبية. إذ سبق لمكسيميليان أن قدّم عرضاً للتنازل عن العرش لصالح الملك هنري الثامن، إلا أن ذلك العرض قوبل بتردد من جانب الملك، معتبراً أن العرض يتجاوز الآثار التقليدية لانتقال السلطة. وقد عبّر الملك هنري الثامن بوضوح عن تخوفه من أن يكون ذلك العرض مجرد خطوة أولى تهدف في النهاية للحصول على بعض الأموال. وعقب وفاة مكسيميليان، جدّد الملك هنري الثامن طموحه السياسي، فأرسل الدبلوماسي المتمكن ريتشارد بايتس (Richard Bates) في مهمة إلى ألمانيا لاستطلاع موقف النخبون الألمان^(٦٥)، غير أن تلك المهمة لم تحقق نتائج ملموسة، إذ لم يبدي النخبون استعدادهم لدعم

مطالبه التي تمثلت: أولاً بالاستقلال التام كملك لإنكلترا، أي أنها لا تكون تابعة للإمبراطورية الرومانية، وثانياً عدم مشاركة إنكلترا بدفع الضرائب أو المساهمة في أموال الإمبراطورية الرومانية^(٦٦).

كان هناك مرشحان آخران، الأول الملك الفرنسي فرانسيس الأول، الذي رغب بتعزيز لقبه "أكثر الملوك مسيحية" بالحصول على التاج الإمبراطوري، مما سيجعله الحاكم الأبرز في أوروبا، والثاني شارل الخامس، الذي ورث سيادة إمبراطورية واسعة تضم أراضي أوروبية، وعُرف بالحكمة والاعتزان. ومن جانبه رأى الملك هنري الثامن أن هذا الترشيح سيضعه في مصاف الملوك الأقوياء، وفي الوقت نفسه لم يكن يرغب برؤية أي من فرانسيس أو شارل شغل المنصب الإمبراطوري^(٦٧).

ظنَّ الملك فرانسو أن البابا ليو العاشر قد يدعمه، لكن، كما كتب الدبلوماسي فرانثيسكو غوتيتشاردين (Francesco Guicciardini)، "إن الملك الفرنسي كان يخدع نفسه كل يوم أكثر من اليوم الذي سبقه، إذ لم يكن البابا يرغب على الإطلاق برؤية النفوذ الفرنسي يتمدد أكثر داخل إيطاليا". أما شارل الخامس، فقد أدار حملته ممثلوه في ألمانيا والأراضي المنخفضة، وقد ركزت دعايته على فكرة أن انتخاب إمبراطور غير ألماني مثل فرانسو أو الملك هنري الثامن يُعد خروجاً عن الأعراف والتقاليد، ولن تتقبله غالبية حكام الإمبراطورية. وقد رُوج لنفسه باعتباره المرشح الوطني، وشددت حملته على أنه الوحيد الذي يملك الموارد الكافية لحماية الإمبراطورية من الغزو العثماني. وكان العامل الحاسم في تلك الانتخابات المال، إذ لم يكن لدى أي من المرشحين ما يكفي من السيولة، غير أن شارل استطاع الحصول على قروض كبيرة من بيوت المال الألمانية، ولا سيما من عائلة فيغر (Fugger) وويلسر (Welser) من مدينة أوجسبورغ (Augsburg)، وقد أنفق شارل نحو (٨٣,٥٠٠) فلورين على حملته الانتخابية^(٦٨).

اجتمع الناخبون في فرانكفورت في ٢٨ حزيران ١٥١٩م، ونتج عن ذلك التصويت لصالح شارل الخامس. هذا الفوز كان له أثر مهم على السياسة الأوروبية، فرغم أن الملك هنري الثامن وفرانسيس هُتَّما شارل رسمياً، إلا أن الحقيقة كانت أن مستوى التنافس بين الملوك الثلاثة ازداد حدة. وقد لَحَّص السفير الفينيسي لدى فرنسا، أنطونيو جوستينيان (Antonio Giustinian)، الموقف بأن "هؤلاء الملوك لم يكونوا في سلام، بل حاولوا التكيف مع الظروف، لكنهم كرهوا بعضهم بصدق"^(٦٩).

إن العداء بين شارل وفرانسيس كان يعني أن كليهما سيحرص على كسب دعم إنكلترا. وهنا يبرز التساؤل: من الذي ينبغي دعمه؟ كان بإمكان الملك هنري الثامن أن يساوم على تقديم دعمه مقابل تنازلات تتعلق بأولويات السياسة الخارجية لإنكلترا، عارضاً دعمه لمن يقدم العرض الأعلى. ومن ناحية أخرى، كان هناك مسألة توازن القوة، فطالما لم تكن الكفة مرجحة لأي من الطرفين، فإن موقع إنكلترا كان قوياً. أما إذا اختلَّ التوازن، فإن الطرف الأضعف كان من المرجح أن يقدم عروضاً أكبر للحصول على

الدعم الإنكليزي، غير أن دعم الطرف الأضعف كان يحمل خطر زعزحته، مما قد يضع مسألة يجب أخذها بالاعتبار. فموقع إنكلترا الجزري في الحافة الشمالية الغربية من أوروبا، مع احتفاظها بقاعدة في كاليه، جعل من الممكن شن غزو ضد فرنسا، أما غزو أراضي شارل البعيدة في إسبانيا أو الإمبراطورية فكان يفوق قدرات الملك هنري الثامن. إن الصلح مع الأراضي المنخفضة القريبة كان من شأنه أن يضر بتجارة البلاد، وبالتالي يلقي معارضة شعبية داخلية، لذا فإن السياسة الخارجية كانت تتطلب معالجة دقيقة ومحسوبة^(٧٠).

كان شارل يدرك أن أي تفاهم بين هنري وفرانسيس سيكون على حسابه، لذلك عقد اتفاقية مع الملك هنري الثامن تنص على أن شارل سيتوقف في إنكلترا في طريقه إلى الأراضي المنخفضة، ويتم استقباله من قبل الملك هنري الثامن وزوجته كاثرين الأرغوانية، التي كانت لها رغبة شديدة لرؤية ابن أختها. ويسافر الجميع معاً إلى كانتربري لإقامة قصيرة هناك. وكذلك كان من شروط اللقاء أن يكون الطرفان من دون سلاح، باستثناء الحراس المعتادين لكل من الملكين، مع عدد متساوٍ من المرافقين لكل منهما، على أن يرسل شارل خمس سفن مسلحة جيداً تقوم بدوريات بين إسبانيا وساوثهامبتون (Southampton)، ويقوم الملك هنري الثامن بالمثل بسفن تقوم بدوريات بين ساوثهامبتون وفلاندرز، لحماية التجارة من هجمات القراصنة والأعداء^(٧١). بمعنى أدق، سيؤمن الملك هنري الثامن كافة مياحه الإقليمية المطلّة على أوروبا من أي تدخل أجنبي.

استقبل الكاردينال ولسي شارل الخامس في دوفر (Dover)، والتقى الملكان في كانتربري، ولقيا ترحيباً من سكان المدينة، وزارا ضريح القديس توماس بكت (Saint Thomas Becket)^(٧٢)، واحتفلوا بعيد العنصرة (Pentecost)^(٧٣)، وبعدها أُتيح للملكة كاثرين أن تلتقي بابن أختها في قصر رئيس الأساقفة. وعلى الرغم من ذلك فإن شارل لم يكن من هواة الاحتفالات، ومع ذلك حرص على إرضاء مُرَجِّبيه، فقد كان يرغب بإقامة التحالف مع الملك هنري الثامن، أو على الأقل منع توقيع معاهدة إنكليزية-فرنسية^(٧٤).

أعدّ ولسي وثيقة رسمية لتنظيم لقاء بين الملك هنري الثامن وفرانسو، وقد سقيت تلك الوثيقة مع مراعاة دقيقة لضمان المساواة في شرف وكرامة الملكين، كما تم التأكيد بشكل مُلحّ على المساواة في مزاياهما الشخصية، إذ إن الأمراء في إنكلترا وفرنسا متساوون في القوة الجسدية، وماهرون في فنون الحرب^(٧٥).

بدأت أحداث اللقاء في حزيران ١٥٢٠م، وكان اللقاء بين قلعة غينس (Guînes) الإنكليزية وقلعة أردرس (Ardres) الفرنسية، إذ بدأ مفوضو هنري بالمتابعة على إنشاء القصر المؤقت المصنوع من الجدران الحجرية والأخشاب المؤطّدة، مع نوافذ زجاجية وأسقف من القماش المذهب، لذلك سُمّي بـ ميدان

القماش الذهبي (Field of the Cloth of Gold). واستغرقت ترتيباته أكثر من أربعة أشهر. أعداد الحضور كانت هائلة، إذ إن كل ملك اصطحب حاشية من نحو (٦٠٠٠) شخص من أعلى النبلاء والقادة الدينيين. واستمرت مراسم ميدان القماش الذهبي لما يقارب الأسبوعين، تبادل الملكان الهدايا، وكانت المبارزات القلب النابض للحدث، واختُتِمت الفعاليات الاستعراضية بقداس عظيم وتبادل الملكين هدايا مثل الخيول الفاخرة. وكانت الهدايا مخططاً لها بعناية، لأن ذلك كان وحده كفيلاً بضمان مبدأ المعاملة بالمثل والمساواة^(٧٦).

عقب اختتام لقاء ميدان القماش الذهبي مباشرة، توجه الملك هنري الثامن للقاء شارل الخاص في غرافلين (Gravelines)، وكان هذا الموقع أقصى نقطة غربية من أراضي شارل الإمبراطورية، ويقع على مسافة تعادل تقريباً ضعف المسافة بين كاليه وغين. وكان ذلك اللقاء أكثر طابعاً عملياً من اللقاء السابق، وأصغر حجماً، إذ بلغ حجم حاشية الملك هنري الثامن نحو ربع حجمها في غين. وكان الهدف من هذا اللقاء طمأنة الملك شارل أن مصالحه لم تتضرر جراء الميدان^(٧٧).

لعلنا لا نجانِب الحقيقة في القول بأن تلك اللقاءات، وأبرزها لقاء الميدان الذهبي، وما تلاه من لقاءات ملكية أخرى، لم تكن مجرد مناسبات احتفالية، بل كانت أدوات دبلوماسية قائمة بذاتها، استُخدمت فيها العمارة المؤقتة، والملابس، والآنية، والجواهر، والطقوس، بوصفها لغة سياسية متكاملة. وقد اتقن الملك هنري الثامن، بمساعدة ولسي، استخدام تلك اللغة إلى أقصى حدودها، فجعل من البلاط الإنكليزي مسرحاً للقوة والهيبة على المستوى الأوروبي. غير أن تلك اللقاءات نفسها كانت محفوفة بالمخاطر، إذ إن الإفراط في العرض قد يثير الغيرة والشك بقدر ما يثير الإعجاب، فضلاً عن الأعباء المالية. ويمكن القول إن لقاء ميدان القماش الذهبي ظل المثال الأبرز على التوتر بين الطموح السياسي والرغبة في السلام والسعي إلى المجد.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى أن سياسة إنكلترا الخارجية في عهد هنري الثامن خلال الفترة ١٥١١-١٥٢٠ اتسمت بالتوازن بين الطموحات العسكرية والدبلوماسية. فقد شهدت المرحلة الأولى مشاركة إنكلترا الفاعلة في الحروب الإيطالية (١٥١١-١٥١٥)، ثم تحول الملك هنري الثامن لمواجهة التحولات السياسية في أوروبا (١٥١٥-١٥١٧) بما يضمن مصالح بلاده. كما أبرزت معاهدة لندن ١٥١٨ دور إنكلترا كوسيط في تحقيق التوازن والسلام بين القوى الأوروبية، في حين مثل لقاء ميدان القماش الذهبي ١٥٢٠ عرضاً للدبلوماسية والهيبة الملكية. وبذلك، توضح الدراسة أن السياسة الخارجية لهنري الثامن جمعت بين السعي للمجد العسكري والمرونة الدبلوماسية للحفاظ على مكانة إنكلترا بين الدول الأوروبية الكبرى.

الهوامش:

(^١) البابا يوليوس الثاني (١٤٤٣-١٥١٣): أحد أبرز بابوات عصر النهضة، تولّى الكرسي البابوي بين عامي ١٥٠٣ و١٥١٣، وتميّزت حبريته بطابعها السياسي والعسكري أكثر من الطابع الروحي. سعى إلى تعزيز السلطة البابوية وتوطيد نفوذها في إيطاليا من خلال الحملات الحربية والتحالفات الدولية، مستعيداً أراضي عدة، وأخضع مدن كبرى مثل بولونيا وبيروجيا للسيادة البابوية، وخاض صراعات مباشرة مع البندقية وفرنسا في إطار عصبة كامبراي ثم الحروب الإيطالية اللاحقة. وإلى جانب نشاطه العسكري، كان راعياً مهماً للنهضة الفنية والفكرية، إذ أطلق مشروع إعادة بناء كاتدرائية القديس بطرس في روما وفق تصميم برامانتي، واحتضن فنانيين كباراً مثل ميكيلانجلو ورافائيل، مما جعل حبريته مرحلة مفصلية في تاريخ الفن والعمارة الأوروبية. ينظر:

William A. Colledge And Other, *The New Standard Encyclopedia*, Vol.VI, The University Society, New York, 1904, P.607; *Encyclopedia Americana*, Vol.11, New York 1978, P.278.

(²) Richard Heath, *Op. Cit.*, P.21.

(³) Charles Knight, *Op. Cit.*, P.42.

(^٤) كريستوفر باينبريج: وُلد في ويستمورلاند عام ١٤٦٢. تلقى تعليمه في الكنيسة، وبعد تخرجه أصبح رجل دين وتدرج في المناصب الكنسية بدعم من عمه الذي كان يحظى بنفوذ قوي في عهد الملك هنري السابع. ثم ذهب للدراسة في إيطاليا ونال الدكتوراه في القانون المدني في بولونيا عام ١٤٩٢. خدم ملكه في روما، وأصبح رئيس أساقفة دورهام عام ١٥٠٧، وترقى إلى منصب الكاردينال عام ١٥١١. استقر في روما، ووُثق علاقته بالبابا يوليوس الثاني الذي جعله في المرتبة الأولى من الكرادلة التسعة الجدد المعيّنين في رافينا عام ١٥١١، وجعله مندوباً إلى الجيوش البابوية في البندقية. توفي عام ١٥١٤. للمزيد ينظر:

Dominic Aidan Bellenger and Stella Fletcher, *Princes of the Church: A History of the English Cardinals*, Sutton Publishing, London, PP.57-58.

(^٥) لويس الثاني عشر: وُلد عام ١٤٦٢ في شاتو بلوا تورين في إقليم وانو شير (إقليم فرنسي)، وهو نجل شارل دوق أورليان وماري من كليف، من أسرة فالوا. توجّ ملكاً على فرنسا عام ١٤٩٨، واتبع سياسة خارجية نشطة للغاية. توفي سنة ١٥١٥. للمزيد ينظر:

Encyclopaedia Britannica, Vol.1, P.1768.

(⁶) Richard Heath, *Op. Cit.*, P.17.

(^٧) العصبة المقدسة: تحالف سياسي-عسكري أعلنه البابا يوليوس الثاني في ٥ تشرين الأول ١٥١١، وضمّ الكرسي الرسولي، والملك الأسباني فرديناند، وجمهورية البندقية، ثم انضمت إليه إنكلترا بقيادة الملك هنري الثامن والإمبراطور مكسيميليان. هدف الحلف إلى مواجهة النفوذ الفرنسي في إيطاليا، واستعادة بولونيا، وحماية مصالح الكنيسة الرومانية. ويُعدّ الحلف تجسيداً لتقاطع الدوافع الدينية والسياسية في إطار صراع القوى الأوروبية على إيطاليا في مطلع القرن السادس عشر. للمزيد ينظر:

M. Creighton, *A History Of The Papacy*, Vol. IV, Longmans, Green, And Co, London, 1887, PP.137-139.

(⁸) Richard Heath, *Op. Cit.*, P.22.

(^٩) معاهدة ويستمنستر: هو اتفاق على تحالف عسكري عُقد بين الملك هنري الثامن وفرديناند عام ١٥١١ ضد النفوذ الفرنسي، بهدف توحيد جهودهما في حرب ضد فرنسا ضمن إطار الحرب المقدسة في إيطاليا. ينظر:

J.J, Scarisbrick, *Op. Cit.*, P.25.

(¹⁰) Richard Heath, *Op. Cit.*, P.37.

(11) Henry VIII's Early Foreign Policy, 1509-29, historytoday, : <http://www.historytoday.com/jez-ross/henry-viii-early-foreign-policy-1509-29>

(12) Mark Hollinshead, *The Reign of Henry VIII*, 2nd ed (N.P, 2019), P.19.

(13) الأراضي المنخفضة: هي منطقة تقع شمال غرب أوروبا، وتضم أساسًا ما يُعرف بهولندا وبلجيكا. سُميت بهذا الاسم لانخفاض مساحات واسعة منها عن مستوى سطح البحر. اكتسبت المنطقة أهمية سياسية واقتصادية خلال العصور الوسطى والعصر الحديث، وشهدت صراعات دينية وسياسية بارزة خلال القرن السادس عشر في سياق الحروب بين القوى الأوروبية الكبرى. للمزيد ينظر:

Geoffrey Parker, *The Dutch Revolt*, Penguin Books, London, 1990, PP.1-3.

(14) David Potter, *The Reign Of Henry Viii*, Macmillan, London, 1995, PP.101-133.

(15) David Potter, *Op. Cit.*, P.23.

(16) مملكة نافارا: مملكة تاريخية تقع بين إسبانيا وفرنسا، تأسست منذ القرن التاسع الميلادي. احتفظت نافارا باستقلالها لمدة طويلة قبل أن تضم إسبانيا قسمها الجنوبي عام ١٥١٢، في حين بقي القسم الشمالي مرتبطًا بالتاج الفرنسي. ينظر: J.H. Elliott, *Imperial Spain 1469-1716*, London, 2002, P.58

(17) David Potter, *Op. Cit.*, P.27.

(18) Charles Knight, *Op. Cit.*, P.29.

(19) اتفاقية ميخيلين: اتفاقية تحالف وقعها كل من البابا ليو العاشر، والإمبراطور ماكسيميليان الأول، والملك هنري الثامن، وفردinand ملك إسبانيا في ٥ أبريل ١٥١٣، بهدف مواجهة التوسع الفرنسي في شمال إيطاليا. مثلت المعاهدة جزءًا من سياسة البابا الدبلوماسية لموازنة القوى الأوروبية، وتضمنت تنسيق الجهود العسكرية لدحر الفرنسيين، كما تجلّى ذلك في هزيمتهم على يد الملك هنري الثامن في معركة الرمحين، وطردهم لاحقًا من إيطاليا بفضل تدخل السويسريين في نافارا. ينظر:

Arthur Henry Johnson, *Europe In The Sixteenth Century 1494-1598*, Ed.6, King Street, Covent Garden, London, 1914, P.76.

(20) Ellen Labrecque, *Op. Cit.*, P.49.

(21) *Ibid*, P.47.

(22) Richard Heath, *Op. Cit.*, P.52.

(23) Peter Gwyn, *Wolsey's Foreign Policy: The Conferences At Calais And Bruges Reconsidered*, *The Historical Journal* 23, No.4, December 1980, PP.758-759.

(24) J. S. Brewer, *Letters And Papers, Foreign And Domestic, The Reign Of Henry Viii*, Vol.IV, Part.I, Longman & Co., And Trübner, London, 1870, P.245.

(25) Mark Charles Fissel, *English Warfare 1511-1642* (London, 2001), P.4.

(26) J. S. Brewer, *Letters And Papers, Foreign And Domestic, The Reign Of Henry Viii*, Vol.IV, Part.I, Longman & Co., And Trübner, London, 1870, P.248.

(27) Quoted in: Richard Heath, *Op. Cit.*, P.57.

(28) Ellen Labrecque, *Op. Cit.*, P.79

(29) مارغريت النمساوية (١٤٨٠-١٥٣٠): أميرة من أسرة هابسبورغ وابنة الإمبراطور ماكسيميليان الأول. تولت منصب الوصية على الأراضي المنخفضة في أوائل القرن السادس عشر باسم ابن أخيها الإمبراطور شارل الخامس. عُرفت بدورها البارز في

الإدارة والدبلوماسية الأوروبية، وأسهمت في ترسيخ نفوذ الهابسبورغ. كما كانت راعية مهمة للفنون والإنسانيات خلال عصر النهضة، وجعلت من بلاطها مركزاً ثقافياً مؤثراً. للمزيد ينظر:

Eichberger, Dagmar, "Margaret of Austria's portrait collection: female patronage in the light of dynastic ambitions and artistic quality." *Journal of the Society for Renaissance Studies*, Vol.10, No.2, 1996, PP. 259-269.

(٣٠) معركة فلودن: معركة كبرى وقعت في ٩ أيلول ١٥١٣ بين إنكلترا واسكتلندا. قاد الملك جيمس الرابع الجيش الإسكتلندي بنفسه، إلا أنه أُجبر على القتال في موقع غير مناسب إثر مناورة إنكليزية ناجحة بقيادة توماس هوارد. انتهت المعركة بهزيمة ساحقة لاسكتلندا ومقتل الملك جيمس الرابع مع عدد كبير من نبلائه. ينظر:

hnes Arthur D, *England Under The Tudors*, Blackmask Online, 2002, P.36.

(31) George Goodwin, *Fatal Rivalry: Flodden 1513 – Henry VIII, James IV and The Battle For Renaissance Britain*, Penguin Books, London, 2013, P.82

(32) George Goodwin, *Op. Cit.*, P.77.

(33) Holshid Mark, *Henry VIII: Reign*, 2nd ed, 2019, P.18.

(34) *Ibid*, P.12.

(35) Paul L. Hughes And James F. Larkin, *Tudor Royal Proclamations*, Vol.1, Yale University Press, (London, 1964)PP.104-105.

(36) Charles Cruikshank, *Army Royal: Henry VIII, Invasion Of France 1513*, Oxford University Press, (British,1969), P. 88.

(٣٧) توماس كرومويل (١٤٨٥-١٥٤٠): رجل دولة إنكليزي بارز، شغل منصب المستشار الأول للملك هنري الثامن خلال المدة (١٥٣٢-١٥٤٠م). اضطلع بدور محوري في إصدار "قانون السيادة" سنة ١٥٣٤م، الذي ترتب عليه انفصال الكنيسة الإنكليزية عن سلطة روما. كما أسهم في مصادرة ممتلكات الأديرة وضمها إلى التاج عام ١٥٤٠م. وتركز نشاطه بصورة رئيسة على إعادة تنظيم الكنيسة الإنكليزية وفق المبادئ البروتستانتية، قبل أن يُتهم بالخيانة العظمى ويُعدم سنة ١٥٤٠م. ينظر: عزيزة فوال بابتي، موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، الجزء ٣، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت) ص ٤٢٥.

(38) Richard Heath, *Op. Cit.*, P.26.

(٣٩) البابا ليو العاشر: وُلد في فلورنسا عام ١٤٧٥، واسمه جيوفاني دي ميديتشي. أصبح بابا بعد انتخابه عام ١٥١٣. تميزت ولايته البابوية بالحروب بين الدول الأوروبية، وعُرف بدهائه السياسي. ظهر في عهده مارتن لوثر في ألمانيا. توفي عام ١٥٢١. ينظر:

J. P. Lamberton And John Mcgovern, *Six Thousand Years Of History*, Vol.VII, E. R. Dumont, Publisher, Philadelphia, 1899, P.186.

(40) Mark Hollingworth, *The Reign of Henry VIII*, 2nd ed, N.P, 2014, PP.12-15.

(41) Richard Heath, *Op. Cit.*, P.9.

(42) *Ibid*, PP.11-23.

(43) J. S. Brewer, *Letters And Papers, Foreign And Domestic, The Reign Of Henry VIII*, Vol.IV, Part.I, Longman & Co., And Trübner, London, 1870, P.234. ; Mark Hollingworth, *Op. Cit.*, P.18. ; Richard Heath, *Op. Cit.*, P.280.

(44) Peter Gwyn, *Op. Cit.*, P.781.

(٤٥) فرانسيس الأول (١٥١٥-١٥٤٧): هو من عائلة أورليان، خلف ابن عمه لويس الثاني عشر، وُلِدَ عام ١٤٩٤، وفي بداية عهده أراد استعادة هيبة فرنسا ومركزيتها في إيطاليا. تميزت المدة التي حكم فيها بحروبه الطويلة مع شارل الخامس. للمزيد ينظر: David Potter, Op. Cit., PP.32-35.

(46) Susan Doran, *England and Europe 1485-1603, second Edition Routledge, London and New York, 1986, p. 18.*

(47) J. S. Brewer, *Letters And Papers, Foreign And Domestic, The Reign Of Henry VIII, Vol.IV, Part.I, Longman & Co., And Trübner, London, 1870, P.243.*

(٤٨) معركة مارينيانو: حشد فرانسيس الأول القوات الفرنسية، التي كان قوامها قرابة أربعين ألف مقاتل، مزودة بأحدث سلاح للمدفعية، واستطاعت عبور جبال الألب بسرعة أذهلت قوات الحلفاء. أوقع فرانسيس الأول هزيمة بالتحالف في موقعة مارينيانو، بالقرب من ميلان، في الثالث عشر من أيلول ١٥١٥. استمرت تلك المعركة لمدة يومين، ولم تشتبك قوات ملك إسبانيا فرديناند في تلك المعركة الذي توفي في كانون الثاني ١٥١٦. أسفرت تلك المعركة عن عدة نتائج منها استيلاء فرنسا على ميلان. للمزيد ينظر: عبد العزيز محمد الشناوي، المصدر السابق، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٤٩) جنان كاظم صالح، توماس ولزي ودوره السياسي في إنكلترا (١٤٧٣-١٥٣٠)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٢٤، ص ٨٠.

(50) Mandell Creighton, *The life of Cardinal Wolsey, New York, 1903, P.31.*

(51) شارل الخامس (١٥٠٠-١٥٥٨): تولى العرش منذ عام ١٥١٦، ويُعد من أبرز حكام أوروبا، واتسعت في عهده رقعة النفوذ الإسباني، مما جعله طرفاً رئيسياً في الصراعات السياسية والعسكرية مع فرنسا والدولة العثمانية. ينظر: *The New Encyclopaedia Britannica, Vol.3.1, P.159.*

(٥٢) الكاردينال: منصب ديني مهم يأتي في المرتبة الثانية في الأهمية بعد منصب البابا. يتم إعطاء هذا المنصب لرجال الدين من قبل البابا، ويصبح رجل الدين المنتخب أحد أعضاء مجلس الكرادلة في روما، ولهم الحق في انتخاب الباباوات. ينظر: زيد محمد حسين علي، توماس كرومويل ومشروع حل الأديرة في إنكلترا ١٥٣١-١٥٤٠، مراجعة وتقديم: محمد مظفر الأدهمي، دار أمل الجديدة، سوريا، ٢٠٢٣، ص ٥٠.

(53) Elliott, J. H. *Imperial Spain, 1469-1716, Penguin Books, (London, 2002), P.112*

(٥٤) فلورين (Florin): عملة ذهبية ظهرت في فلورنسا الإيطالية عام ١٢٥٢، وسُميت بهذا الاسم نسبةً إلى المدينة، وتميزت الفلورين بنقائنها العالي وثبات وزنها، ما جعلها تحظى بثقة واسعة في المعاملات التجارية الأوروبية. ينظر: *Encyclopaedia Britannica - entry on the gold Florin of Florence, P.153.*

(55) David Potter, Op. Cit., P.48.

(56) Richard Heath, Op. Cit., PP.24-26.

(٥٧) السلطان سليم الأول: (١٤٧٠-١٥٢٠) الملقب بـ ياوز (الصارم)، ثامن سلاطين الدولة العثمانية (١٥١٢-١٥٢٠)، ويُعد من أبرز الحكام الذين أسهموا في تحويل الدولة العثمانية من قوة إقليمية إلى إمبراطورية ذات ثقل سياسي وديني واسع. اتسم حكمه بالحزم الشديد لتثبيت السلطة، إذ اعتمد على الانكشارية في اعتلائه العرش، وقضى على منافسيه من إخوته وأبناء إخوته وفق سياسة مركزية هدفت إلى منع الانقسام الداخلي. انتهج سياسة توسعية عسكرية واضحة، فهزم الدولة الصفوية في معركة جالديران (١٥١٤م)، وأسقط الدولة المملوكية بعد انتصاري مرج دابق (١٥١٦م) وفتح مصر (١٥١٧م)، مما أدى إلى ضم الشام والحجاز إلى النفوذ العثماني. كما ارتبط عهده بانتقال رمزية الخلافة إلى العثمانيين، وبترسيخ دور السلطان بوصفه قائدًا

سياسيًا ودينياً للعالم الإسلامي، إلى جانب اهتمامه بالإدارة والثقافة، إذ كان شاعرًا باللغة الفارسية. للمزيد ينظر: حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ص ١٨١-٢٨١.

(٥٨) القسطنطينية: هي عاصمة الدولة البيزنطية، أسسها الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول سنة ٣٢٠، واتخذها مقرًا للحكم فخلد اسمه. مثلت مركزًا سياسيًا ودينياً واقتصاديًا، وظلت كذلك حتى فتحها العثمانيون عام ١٤٥٣، بقيادة السلطان محمد الفاتح. للمزيد ينظر:

John Julius Norwich, Byzantium: The Early Centuries, PP.44-45

(٥٩) الكاردينال كامبيجو (١٤٧٤-١٥٣٩): رجل دين ودبلوماسي إيطالي بارز، ابن كاردينال سابق. قبل دخوله المسار الكنسي، كان متزوجًا ولديه أربعة أبناء. أدى دورًا دبلوماسيًا مهمًا ممثلًا للكرسي الرسولي، إذ أرسله البابا كليمنت السابع إلى ألمانيا لحضور مجلس نورمبرغ، وإلى لندن للتعاون مع الكاردينال ولسي في تقييم قضية طلاق الملك هنري الثامن من الملكة كاترين أراغون. يُعرف أيضًا من خلال رسائله المنشورة في مجموعة من الرسائل التي تعكس نشاطه السياسي والديني في أوروبا أوائل القرن السادس عشر. ينظر:

Enciclopedia Universale Illustrata, Vol.II, Dottor Francesco Vallardi, Torino, 1887, P.839.

(٦٠) جنان كاظم صالح فرحان، المصدر السابق، ص ٨١.

(٦١) *Richard Heath, Op. Cit., P.25.*

(٦٢) جون كوليت: عالم دين إنكليزي، وُلد عام ١٤٦٧ في لندن وأخذ الشخصيات السياسية في عهد آل تيودور، وهو من رواد النهضة الأوروبية، ودعم النهضة في أكسفورد، سافر إلى إيطاليا ودرس في جامعاتها لمدة ثلاث سنوات، وأصبحت لديه معرفة واسعة بثقافة عصر النهضة والفكر الإغريقي، وعاد إلى إنكلترا وأصبح محاضرًا في جامعة أكسفورد منذ عام ١٤٨٩. انتقد رجال الدين الفاسدين، وأتهم بالهرطقة بسبب آرائه، وتوفي عام ١٥١٩. ينظر: *The New Encyclopedia Britannica, Vol.3, P.449.*

(٦٣) إيرازموس عالم إنسانيات وواعظ وقسيس كاثوليكي، وُلد في روتردام بهولندا. دخل سلك الكهنوت في دير ستاين في إيطاليا، وحصل على شهادة الدكتوراه في جامعة تورين عام ١٥٠٩. ومنحته الكنيسة لقب علامة، وعدّه بعض المفكرين أمير الإنسانيين وأعظم المفكرين. ينظر:

Charles Butler, The Life Of Erasmus, (London, 1895). P.68.

(٦٤) توماس مور: فيلسوف وسياسي إنكليزي، وُلد في السابع من شباط ١٤٧٨ في لندن. كان والده قاضيًا، وكان يرغب في إعداده ليكون محاميًا. بدأ دراسته خارج لندن، ثم أعاده والده إلى لندن لدراسة القانون العام، والتحق بمعهد لينكون لتدريس المحامين، وهو أحد أربع مؤسسات قانونية لتدريس الحقوقيين وإعدادهم لمهنة المحاماة. خالف رغبة والده، وتحول إلى خدمة الله والكنيسة، والتحق بأحد الأديرة، وأمضى أربع سنوات فيها. تزوج من جان كولت (Jane Colt) التي أنجبت له ثلاث بنات وصبي توفي في سنته. توفي في ستة تموز ١٥٣٥ في برج لندن بعد تنفيذ حكم الإعدام به بأمر من الملك هنري الثامن. للمزيد ينظر:

B.O. Flower, The Century of Sir Thomas More, (Boston, 1895), P.143.

(٦٥) الناخبون الألمان: كانت ألمانيا مقسمة إلى ٣٥٠ وحدة سياسية شكّلت خليطًا غير متجانس في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية. اتخذ قسم منها الطابع الديني، وامتاز البعض الآخر بالطابع العلماني، وقد شجّع حكامها على أن يجعلوا من أنفسهم حكامًا مستقلين من الناحية العملية، وكان اعترافهم بالإمبراطور مجرد اعتراف شكلي. أما الناخبون السبعة الذين يُعتمد على آرائهم في انتخاب الإمبراطور، فمنهم ناخب براندنبورغ، وملك بوهيميا، وناخب بافاريا، وناخب ساكسونيا، وكبير أساقفة ماينز، وكبير أساقفة كولن، وكبير أساقفة ترير. للمزيد ينظر: عبدالعزيز محمد الشناوي، المصدر السابق، ص ٢٣٢-٢٣٣.

⁽⁶⁶⁾ Richard Heath, *Op. Cit.*, P.26.

⁽⁶⁷⁾ J.S. Brewer, *Letters And Papers, Foreign And Domestic, Of The Reign Of Henry VIII*, Longmans, Green, Reader And Dyer 1867, P.12.

⁽⁶⁸⁾ Charles Knight, *Op. Cit.*, P.19.

⁽⁶⁹⁾ Quoted in: Richard Heath, *Op. Cit.*, P.29.

⁽⁷⁰⁾ *Ibid.*, P.30.

⁽⁷¹⁾ Richard Heath, *Op. Cit.*, P.33.

^(٧٢) القديس توماس بكت (١١١٩-١١٧٠): رجل دين إنكليزي شغل منصب رئيس أساقفة الكنيسة، ودخل في نزاع مع السلطة الملكية، ولا سيما فيما يتعلق بمحاكمة رجال الدين. انتهى النزاع باغتياله داخل كاتدرائية كانتربري، مما أدى إلى تقديسه بوصفه شهيداً للدفاع عن استقلال الكنيسة. للمزيد ينظر:

David Knowles, *Thomas Becket*, Stanford University Press, London, 1970, PP.3-6.

^(٧٣) عيد العنصرة: يطلق عليه تسمية عيد الخمسين ايضاً، هو أحد الأعياد الدينية الثلاثة الكبرى في الديانة اليهودية القديمة، ويقع في اليوم الخمسين بعد عيد الفصح. للمزيد ينظر:

John Chisholm Lambert, *A Dictionary Of Christ And The Gospels*, Vol.Ii, Charles Scribner's Sons, New York, 1908, PP.331-332.

⁽⁷⁴⁾ Timothy Schroder, *A Marvel to Behold: Gold and Silver at the Court of Henry VIII*, London, 2012, P.2.

⁽⁷⁵⁾ Charles Knight, *Op. Cit.*, P.87.

⁽⁷⁶⁾ Timothy Schroder, *Op. Cit.*, P.16.

⁽⁷⁷⁾ Timothy Schroder, *Op. Cit.*, P.18.